السمارتو – وعي القصد ... ذاتية التجلي
خطاب (ليلة الملاك لنزار عبد الستار) ... مهادا

أ.د. هاني صبري آل يونس
جامعة الموصل / كلية التربية

فاعلية القصد :

ليس مبالغة، الادعاء، ان اللغة هي اوثق وسيلة للتواصل الحضاري بين الامم، لانها "أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم"[1]. وهي أيضا "نظام من رموز ملفوظة عرفية بوساطتها يتعامل ويتعاون اعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة"[2]، وإذا كان الفرد بوصفه نموذجا لعقل الجماعة يصدر في لغته عن وعي خاص، فإن هذه اللغة ينبغي ألا تضطلع بوظيفة التواصل الاجتماعي فحسب، بل هي وسيلة للتفكير الذي لا يتم إلا بها ولا تتم هي إلا به.

ولاشك إن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على احداث هذا التواصل من خلال نمذجة فكره اللغوي، على نحو واع وتام، واذا كان الفرد يمتلك ما يؤهله للتفوق في مجال الابداع الفكري فهذا مرده تفوق يبديه ازاء عقل الجماعة، اذ إن اللغة " ليست وظيفة الفرد، بل هي نتاج يهضمه الفرد بصورة سلبية ولا تحتاج الى تأمل سابق، أما الكلام، فهو فعل فردي، وهو عقلي مقصود. وينبغي ان نميز ضمن هذا الفعل بين: الارتباطات التي يستخدمها المتكلم حين يستعمل اللغة، والعملية السايكو فيزيائية التي تساعد الفرد على اظهار هذه الارتباطات بمظهرها الخارجي"[3]. وهذا الامتياز لا يتحقق إلا عبر أداء فردي يؤشر مستوى إبداعه أو تطوره على حالة النمذجة (النظام اللغة) ومن ثم يؤشر دالة لانحراف اللغوي عنده، ويقوم الانحراف في العادة، ليدل على ما تحقق في الذهن من مادة معرفية أو ما تحقق من تفاهم أو أدراك بين الدال والمدلول أو ما ينشأ عنها في مستوى الاداء الكتابي، يزاد على هذا ان اللغة في تأسيسها لا تعدو ان تكون قوالب وانظمة يقترحها المشرع اللغوي، وقد تبدو أول امرها اعتباطية، لكن الذي يحيل الجمود في الفكر المعرفي الى مستجد خطابي، هو الكلام، لان لكل خطاب تتحقق فيه الفعالية الكلامية مرجعية خاصة، والمرجعية هنا " إحالة معينة الى ما يتحدث عنه، وهو موضوع الحقيقة ما وراء الكلامية"[4] لذلك نجد اللغويين–غالبا– ما يميزون بين المعنى والمرجعية، من حيث أن المعنى، مفهوم تداولي يقره الواقع العرفي، وهو ايضا "علاقة تربط الجمل دلاليا بمستعملي اللغة"[5]، اما المرجعية، فهي قانون يستلزم الخطاب ويباشره لانه عند ما يوحد عملية الإدراك تستقيم في ذهن المتلقي صورة واضحة لجامع الدال والمدلول، عندئذ يتحقق الالتحام الكتابي وما ينشأ عنه في الفهم من مثيرات واستجابات أو ينشأ عنه من عملية كلامية" من جهة، ان اصدار الكلام يحتم صورتين: الاولى، مادية، أي الاصوات المسموعة، والثانية عقلية وهي ما اصطلح على تسميتها بالقصد.

والقصد يستدعي من ضمن ما يستدعي قوة مؤثرة على نحو مكثف في بؤرة وجدان المتلقي، هذه القدرة تستثير مواقع الدلالات والعلامات في الرسالة اللغوية، وهي رسالة شفرة تستلزم تقنات في التوصيل تصير الفعل الكلامي في ذهن المتصدر دالة بؤرة يرتضيها المتلقي ويتفاعل معه، وهذا، هو نفسه ما يميز الخطاب من الكلام، اذ إن الخطاب لغة عقل منظم نموذجه واع ومكثف، لذا فهو يفترض بنية خطابية يمتد طرفاها بين ذهن المتكلم وفعل المخاطب، ويحتكم دالات ومرجعيات ادائه قصد كلامي على وفق مصداقيين العقل: أولا، وانتحاء السمت من المخيال ثانيا

[1] لسان العرب لابن منظور، ج2، ص118.

[2] فقه اللغة، طه عبد الحميد، ص11.

[3] علم اللغة العام لدوسوسير، ص 32.

[4] المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، جملة حوليات الجامعة التونسية، ص 89–90.

[5] المصدر نفسه والصفحة نفسها

الخطاب والقصد:

الخطاب:

مفهومه لغة، الكلام، وحدده الكفوي في الكليات فقال " الخطاب خاطبه، وهذا الخطاب له لاخطاب معه، والخطاب معه باعتبار تضمين معنى المكالمة، وهذا الكلام الذي يقصد به هو الإفهام"[1].

واصطلاحا، الخطاب عند الكفوي، هو "اللفظ المتواضع المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2].

واراد بقوله" مقصود به الافهام، احترازا عن الكلام الذي لم يقصد به افهام المستمع.

هذا المفهوم، كان وما يزال، يمثل جل اهتمام الباحثيين ولا سيما اللسانين العرب في مجال شرعية الجملة. ومشروعيتها العرفية. فالمشروع اللغوي في الفكر اللساني العربي، كان دائما، يمتلك سلطة اية سلطة، سلطة تتيح له توليد أو تهجين أو تعريف أو تجهيل كم هائل من المركبات اللغوية لايستسيغها العقل الجماعي لذلك كان القصد[3] في الفكر اللساني العربي، احيانا، يجترئ أو يجترأ به في تفنيد المركبات الكلامية، بل، حتى صورتها الذهنية.

فالسامع للكلام عند فخر الدين الرازي مثلا" إما ان يكون عاملا بقصده وموضوعه أو لايكون، فإن كان عالما به عرف مفهومه بتمامه وإن لم يكن عالما به لم يفهم منه شيئا اصلا"[4].

اذن لافائدة يمكن ان تتحقق اذا لم يكن الكلام ليتوجه بفعله الى جهة محددة مقصودة يراعيها المخاطب في كلامه.لاجل ذلك كان الكلام عند الكفوي يطلق على " العبارة الدالة بالوضع وعلى مدلولها القائم في النفس"[5]، وهذا يعني إن " اشكالية الخطاب مرتبطة ارتباطا تقنيا بإشكالية التواصل، بمعنى ان إحداث الخطاب ناتج عن ممارسة لغوية تهدف الى تحقيق عملية الإبلاغ قبل كل شئ، لكن في إطار منطقي لساني يضبط الوقائع الكلامية–المرجعيات– ويساعد على تحسين الوضعيات المختلفة من اجل التأثير[6]

أي ان، إحداث التواصل بين الفكر المتكلم بوصفه سلطة وبين الفكرالمستلم بوصفه دالة مستقبلية. نقول، لايتم الا عبر شبكة من المؤلفات المباشرة لرسالة الخطاب، هذه المؤلفات توفر قاعدة (ملكة أداء)يمكن الانطلاق منها لاستجلاء مركب البؤرة في السلسلة الكلامية، من حيث بنية أو صوابية الفاظه، ما نعنيه، إن الخطاب قد يكون متواليات كلامية في نسق تركيبي واحد، إلا انه قد يكون أيضا" كلية دلالية لاتشكل الجمل ضمنها إلا اجزاء من الملفوظ[7]

تضاد القصد في رؤية السمارتو:

أولا :

كان الخطاب السردي في رؤية (السمارتو) وثيقة تاريخية، تشكل المرجعية الشعبية فيها دالة متفردة. وهذا ناجم عن انبهار يبديه العرف الشعبي بأنموذجات أبطاله ورموزه الأسطورية. إن الخطاب السردي في (ليلة الملاك) أحال على بؤر استذكار تكتنز ذاكرة الكلام بدت جديدة للمناقلة في شفرة الرسالة وفي غائيتها التداولية. لأن الخطاب التداولي خطاب إنساني ينبغي أن يكون واضح القسمات في لغته وفي حدود تفكيره مستعينا في زيادة وإيضاح تشكلات السرد بالمران والفراسة فضلا عن الحنكة والخبرة وحسن التصرف في إدارة أعمال النص .

---

[1] ينظر: ج2، ص284.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها

[3] للمزيد عن القصد في الكلام، ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، احمد بن فارس حققه مصطفى الشويمي، ص81.ومفهوم الكلام المفيد بين النحاة العرب وعلماء اللغة المحدثين.د.طالب عبد الرحمن. مجلة اداب الرافدين، العدد 1992/24، ص101.

[4] نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، لابي بكر الرازي ص10

[5] الكليات، ج2، ص285

[6] المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، حوليات الجامعة التونسية، العدد 38، ص89.

[7] المصدر نفسه ، ص87

ثانيا :

ينبغي الا يغيب عن بالنا، ان التفرد في تحقيق الاداء الكلامي يصحبه استنفار لازم لمرامي الخطاب واهدافه، لان تراسل التضاد بين المتراسلين امر قائم في الرسالة اللغوية، حتى تتمكن المرجعية القصدية من إزالة مؤلفات التضاد وهي تتضح، حتما، كلما كانت بوادر الإلفة اكثر وشاجة بين طرفي الرسالة، ولا يخفى,ان تحقيق الانسجام في مستوى اداء (ليلة الملاك) متوقف على مدى سعي السارد وإخلاصه في تحقيق اهداف الخطاب على حسابه ولصالح المتكلم له :

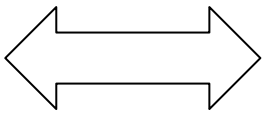

واهداف الخطاب، لاتعدو ان تكون أربعة[1]: فالإبلاغ سابق لانه اخبار يحتمل التصديق والتكذيب، اما الاقناع، فهوغاية المرجعية وسر تواصل الانسجام بين المتخاطبين، وهي حالة قد يثار عندها نوع من الذهول أو التداعي، وقد يصحبه ميل الى المجابهة، امّا الشرح، فهو مرحلة فكرية، يزال عندها، أو يحاول، ان يزال كل مؤلفات التضاد في بنية الرسالة، والتفسير، كشف يلم كل مؤلفات التضاد على نحو تسخر فيه الحقيقة، أو لنقل بوادر الحقيقة سعيا الى تفصيل الرسالة وتصعيد فاعليتها، اذ إن فاعلية الرسالة مرهونة بتداعيات النقل بين المتكلم والمتكلم له، ومدى تحقيق الفهم والاستبعاب في دالة الشفرة ودلالاتها الفكرية، وهذا يتحقق نظرا الى المقابلة التي يمكن ان تستثار بين مركبات التضاد. وهي علاقة لاتقتصر على المتكلم المخاطب، وانما تنظر الى بؤرة الرسالة وقصديتها وسهولة مراميها في التوصيل وابتعاد فكرتها عن الغموض والمجادلة :

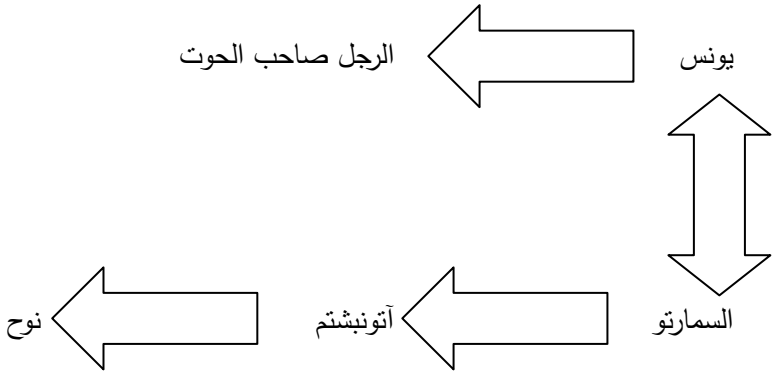

كنا قد المحنا فيما سبق، الى ان القصد، قد يؤسس فكرة نظام لغوي متطور، يسبق الخطاب، ومعاد ذلك ان الخطاب ظاهرة لغوية تتركب اساسا من عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة، فقيامة يونس في منطقة (الاقليعات) دالة حدثية يمتد عرى تواصلها ويتوزع بين (الرجل صاحب الحوت) و(السمارتو) بوصفهما معادلين سرديين يوثقان لرحلة الأبدية و(نوح) معاد قرآني يؤسس لفكرة الكشف في غائية الأسطورة ووجهها التداولي (آتو نبشتم) ومن ثم (السمارتو) الملاح الذي رسخ واقعة الاكتشاف، فاختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها يوثق عرى التواصل بين رسالة الخطاب والرسالة بوصفها تواردا ذهنيا تنفلق عنده، حبّة النواة في الصورة (يونس // نوح)، وقد يلازم هذا التوارد ايضا، استنفار لقوة الرؤية المشتركة في تشكيل الخطاب، ويعزا ذلك الى ان الخطاب ظاهرة لغوية تستوفر إزاءها الخبرة والفاعلية، فهما علامتان مهمتان من علامات المرجعية وقيود تصييرها، لان الخبرة وليدة معرفة، والمعرفة بامكانها ان تستثير ملكة اللغة عند المتلقي وهذه بدورها تستولد جملا ذات خواص شكلية ومعنوية، فالظاهر ان التواصل في شفرة

[1] الوقوف على اهداف الخطاب، ينظر :اهداف الخطاب وانماط السياق ريتشاردز، ص38

التراسل لا يتم الا عبر قانون المرجعية وهو قانون سلطان في الفكر اللغوي المشتغل. من حيث ان اشكالية التواصل تفترض " متحدثا وسامعا أي باثا ومتلقيا وتفترض عند الاول نية التأثير/القصد/ على الثاني بشكل من الاشكال[1]، كما ان المتكلم يجب ان يكون (ملمّا بأساليب اللغة عارفا بظروف المخاطب، وإن مايعد غاية من الاهمية هو ان تكون الرسالة ذات معنى/ قصد /من هنا، يمكن للسامع ان يستقبل الرسالة"[2] فالرسالة لا تحتفظ بقوتها التخيلية، إلا عبر تفاعل متشابك يفك عراه مزيد من المواصلة، تطغى على قوة المعرفية فيها دالة اخرى اكثر دلالة، هذه الدالة هي التي توجه فعل الخطاب ونوعه وشفرة المراسلة فيه.

خطاب المخيال :

السرد لغة الخطاب ووقائعه، وهو في لغة نزار عبدالستار منهج معرفي يصير الفكر فعلا ذهنيا يرصد وقائع النص ومراميه. او لنقل إنه نتاج لتراكم معرفي متجدد، تبلور لغته على وفق صياغة واعية، تنقل المعنى الكلامي المتبادل / القصد / نقلا ينم عن قدرة في تناول الحدث وتتبع نقاط الإحالة فيه. يزاد على هذا البناء / الواقعي، . لمحات خيالية تتيح له التبحر في صناعة الصورة، والخوض في حقول رسالتها الدلالية والتركيبية :

(ألف يونس الاجواء وصار منظر السمارتو المجنح اكثر واقعية واخف بشاعة من لحظة التعرف الجهنمية)[3]

كشف التحليل :

1. بؤرة الإبلاغ : ألف يونس الاجواء
2. بؤرة الشرح : صار منظر السمارتو المجنح اكثر واقعية واخف بشاعة

اثبت التفسير ان الاقتران السردي في رسالة الخطاب او لنقل في افعال القصد فيهما :

ألف ⟵ صار، نقول ان هذا الاقتران قد جعل لفكرة المخيال وجهة واحدة، استباقية ان

⟶

صار : منظر السمارتو اكثر واقعية الف يونس الاجواء ⟵

استلزام الخطاب : التوكيد في تركيبة الخطاب اضفي على فعلية الحدث تحقيقا ولا سيما ان هذا التوكيد قد مورس على فعل الابلاغ وفعل الشرح بدلالة الفعل (صار)، علاوة على ما يمكن ان تحققه دلالة الاقتران الوجوبي في افعال الرسالة : ألف = صار.

ومن صور الاستلزام الاخرى في وعي المخيال، سيرورة الزمن فعلا ادائيا متوثبا يميل بالتركيب نحو التجدد والانفتاح او الاستمرار والديمومة، وهذا متحقق بدلالة فعل التحويل الزمني " صار " صار منظر السمارتو اكثر واقعية.

لأن القانون المرجعي، هنا، كان اسطورياً جمع الباث والمتلقي على استقطاب هذه الاشكالية في التقمص والتوصيف.

وقد يوسع المخيال في فكر(ليلة الملاك) من دائرة الشفرة، سعيا لتحقيق الاقناع وذلك يتم من خلال اقحام المتلقي في حدث الشفرة، إن اقحامه بل استدعاءه الى الحدث لم يكن قسريا، إنما جاء للاشعار بأهمية المتخيل (يونس) بوصفه طرفا ايجابيا، يتوقف عليه تحقيق هدف الخطاب وغائيته في إشهار الوجه الآخر المتقبل من الأسطورة يونس / / بانيبال ليس لأنه البطل الذي ترشحه عوالم الطفولة وإنما القادم من بطن الحوت آسرا تتكمش إزاءه أجنحة السمارتو:

(انكمشت اجنحة السمارتو وفقد عضلاته البارزة انتفاخات القوة وهو يرد بخيبه : نعم تستطيع يايونس يانبيال). ([1])

---

[1] المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، ص87.

[2] علم النفس اللغوي.د. نوال محمد عطية، ص15.

[3] : ليلة الملاك، ص 12

سحر المرجعية :

أكدنا آنفا أن سلطان المرجعية في المخيال اللساني العربي سلطان واع ومدقق، إذ إنه يوثق غايات الخطاب على مستويات في الأداء متعددة، يشكل المرجعية العرفية الشعبية فيها دالة متميزة ومتفردة ربما لانبهار الإنسان العربي بأفكار وأنموجات أبطاله أو ربما لقوة السحر التي يمكن أن تثيره الأجواء الاسطورية العربية بما فيها من محافل وهالات أسبغت على الفكر الشعوري الشعبي بعدا خياليا تصويريا، لاسيما إن التواصل لا يحقق انسجاميته الا بقصد النية المسبقة بين المتكلم والمتكلم له.

هذه المرجعية تدفع المتكلم . أحيانا . إلى التزام بؤرة مضيئة من بؤر هذه الهالة العرفية لسيرورتها الماحة خيال تستدعي التتبع والمواصلة. في صناعة الصورة اللغوية من هنا، كان نزار عبد الستار يستكشف دائما بؤرا صورية جديدة للمناقلة في غائية الكلام أو في شفرة رسالته أي ان الخطاب عنده استطاع أن يتتبع البؤرة الصورية بالماحة أو إضاءة، أبانت أعماق غائرة في قصد الخطاب ورسالته لننظر إلى قوله :

(تطلع إليه يونس بجمود فتابع السمارتو اعلم انك انتصرت على (مبعوج العين) و(أمَ العجايا) وان (مطعوج الشايب) سيرسل اليك قريبا ابشع ما لديه من خدم لتأديبك والانتقام منك، لكن لا صلة لي بهذا العجوز آكل الاطفال). (2)

كشف التحليل :

رسالة الابلاغ : سيرسل اليك قريبا ابشع مالديه من خدم

رسالة الاقناع : لتأديبك والانتقام منك

افعال الكلام : تطلع، تتابع، علم، انتظر، ارسل، أدب، أكل

رسالة الشرح، إن اشكالية المبادلة بين الارسال والتأديب لا تحقق رسالتها لاستحالة تحقيق احد القصدين دون الثاني او لانتفاء الفائدة من تحقيق احدهما دون الاخر، وهذا قانون فكري يصيره العرف نظاما ليس فكريا فحسب بل هو حكائي متفرد :

انتصرت على (مبعوج العين) و(أم العجايا)

المخيال ان (مطعوج الشايب) سيرسل اليك قريبا ابشع ما لديه.

فإشكالية المزاوجة بين المخيال والاسطورة هي اشكالية إنسانية عامة لذا فهي تستدعي لغرض التعبير عن فكرتها، لغة تستدعي حيزا من الانضباط يمثل البعد الثاني الصوري لتركيبة اللغة هذا الحيز فيه تنويع لفعل الحدث يتغير بتغير لوحة الصورة ودالات التشبيه فيها.

(كنت بشرا بوجه وسيم ولي حبيبة واطفال وبعد فيضان عظيم ورعد وبرق وامطار وكل حبة منها بحجم الكبة نقصت المياه وكشف آتو نبشتم الغطاء عن السفينة وقال : من يبحث لنا عن اليابسة فقلت : انا سمارتو الملاح يبحث عن اليابسة ويعود اليك بالبشرى).([2])

كشف التحليل :

1. رسالة الابلاغ : كنت بشرا بوجه وسيم ولي حبيبة واطفال
2. رسالة الاقناع : بعد فيضان عظيم ورعد وبرق وامطار وكل حبة بحجم الكبة

افعال الكلام : نقصت المياه // كشف آتو نبشتم الغطاء

---

[1] : ليلة الملاك، ص 13

2 :ليلة الملاك، ص 20

[2]) : ليلة الملاك، ص21

3. رسالة الشرح : من يبحث لنا عن اليابسة // انا سمارتو// الملاح يبحث عن اليابسة

معنى هذا ان الرسالة تفترض التواصل إزاء مؤلفات التضاد والتضاد هنا واقع في :

(فأخذ ما علق في نعليه من طين بيته ومسح به// ظهري //وقال باسم الرب تخرج من ظهرك من روح الرب تظهر فخرجت الاجنحة من// ظهري//)[1].

او في معادلة حدث القصة على وفق دلالة التكوين في (طين بيته) بوصفها أداة توفر الاستيلاد بين ركني الصورة.

كنت بشرا بوجه وسيم

السمارتو

من روح الرب تظهر فخرجت الاجنحة من ظهري

يظهر من الكشف التحليلي لهذا النص ان سحرالمرجعية في لغة الخطاب قد تمثل في مستويين الاول : دلالي اذ جاء اغلب الفاظ السلسلة الافقية ذات دلالات خاصة تكتنز في ذاكرة العرف الشعبي حيزا قد يثير في نفس المتلقي خوفا من الكائن او خوفا من مثاره والثاني مستولد في ذاكرة الطفولة من سر علامة التضاد بين الطفل وميراثه الشعبي بوصفه وجها خرافيا مرعبا.

ذاتية التجلي :

يقينا، إن الخطاب في شرجه وتفسيره وفي سرده خوض في مخاضات اللغة ذلك ان الخطاب في كل ذلك يكشف آلة شعورنا بل هو يحاول ان يقنن برامج التوصيل في فكرنا معنى هذا، إن الكشف ينبغي ان يكون قادرا على استلابنا لان التنبؤ إحالة شعورية إلى ما وراء الفعل، استرجاع متقصد يجرنا الى العرف بوصفه واجهة تشمل قيما تشتمل على إرهاصات وتولدات قد تضع افكارنا وصياغة مشاعرنا تحت رحمة ذاتية التجلي.

إن تفكيك المؤلفات المباشرة في سياق الكلام وفقا لحالة التداعي التي قد تتمكن في وقت من اوقات صيرورة الشفرة، نقول تتمكن من الغاء كل وسائلنا الاخرى المشتغلة في فكرة الرسالة وفي صياغتها او في تغير وجهتها والغالب، ان هذه الوجهة تكون لصالح داخلية التجلي ومن ثم الى ترهيب الفعل لدى المتلقي او تلاشيه لصالح حالة اللاوعي في ضمير المتكلم فالمتلقي عليه ان يستطلع ابعاد الصورة في افعال القصد عند المتكلم بالمكاشفة بيد ان من شروط المتكلم في خطاب التجلي لنزار عبدالستار ان يكون الخطاب فيه واضح القسمات في لغته وحدود تفكيره مستعينا في زيادة ايضاح الصورة الخطابية بالمران والفراسة الذاتية زائدا الحنكة والخبرة وحسن التصرف في ادارة اعمال النفس. فالتجلي اذن هو عمل خلاق مبتكر مبدع يسخر له كل امكانات الاستيلاد الواعية علاوة على فسحة من التمنطق الخيالي يزين هامش الحدث في لغة الخطاب التنبؤي.

جاء في ليلة الملاك : (قلد السمارتو صوت اسرحدون وهو يقول سنترك الذين ظلموا انفسهم للرب الذي لا يظلم احدا وما ان خرج من قاعة العرش حتى القي القبض عليه ووضع في عربة انتقلت به الى بيت (ريدوتي) مقر آشور بانيبال ولي العهد الصغير ليباشر وظيفته الجديدة هناك وهي البقاء امام طفولة الملك كمثل حي على بشاعة الحروب)([2]).

كشف التحليل

1. رسالة الابلاغ : سنترك الذين ظلموا انفسهم للرب
2. رسالة الاقناع : الذي لا يظلم احد
3. افعال الكلام : القي القبض عليه // وضع في عربة // انتقلت به الى بيت ريدوني

---

[1]) : المصر نفسه والصفحة نفسها

[2]) : ليلة الملاك، ص35

رسالة الشرح : الظاهر من دالات الخطاب ان الحاضر المستولد من الماضي ليس اكثر تسامحا وصبرا ولا ريب ان المستقبل المتجلي بشع :

البقاء امام طفولة الملك // كمثل حي على بشاعة الحروب،

هذا التوصيف الذي اثاره الحدث في سمت افعال الكلام بدا غائرا ليس هذا فحسب إنما الذي اثار تغريبة الصورة اللغوية واشراقتها في تجليات قوة الاثارة في فعل المفسر :

ليباشر وظيفته الجديدة هناك، وهي البقاء أمام طفولة الملك كمثل حي على بشاعة الحروب.

الاستلزام الخطابي :

واضح في بؤرة التناص القرآني (الذين ظلموا انفسهم) وهي دلالة سياقية تستجليها المؤلفات فضلا عن وظيفتها في التوصيف، تولد وظيفة اخرى في سياق جملتها بما تضفي على وقع فعلها القصدي اللاحق من ترقب او اهمية يستشعرها المتلقي وهو يتحسس اجواء الصورة.

الإبلاغ والإقناع :

شكل هذا الخطاب في لغة نزار عبدالستار نسيجا لغويا متفردا في ابداعاته الفكرية بل إن أنموذج المقام والمقال كان مترسما على وفق تشاكلات لغوية تعبيرية افصحت بوضوح نظرا الى ان المثير لا يحقق الاستجابة المطلوبة الا اذا اتفق (المرسل والمرسل له)على نمط الشفرة ورسالتها الرمزية فالمتخاطبان عليهما ان يدركا ان ثمة تواصلا مشتركا بينهما تؤكده منازع النفس الإنسانية . لذلك لا بد من معالجة الاستجابة المتطلبة بمثير قادر على إظهار حالة الوعي فيها أي الاستجابة تاسيسا على هذا يمكننا القول : ان الخطاب الناجز هو خطاب معرفي لا باس من الابانة فيه متى ما استشعر المتكلم ان استجابة حدثية ناجزة على وشك التحقيق فالذي يوثق صدق الاستجابة وواقعيتها فعل اخر يبدو متناقضا لكنه متقصد يرمي اليه المتكلم ويتطلبه المنجز من هذا الفعل لان الخطاب هنا مزدوج ببعديه لكنه يتفق في اساسه على قيمة التواصل / فكرا واداء/ أي فعلا ونتيجة لان الفعل القصدي في الابلاغ اذا لم يكن قادرا على احداث التواصل لن يكون في يوم من الايام مقنعا ومؤثرا لذا من الضروري ان نستوثق البعد الثاني للغة نزار عبد الستار أي ان نتوجه الى خطاب العقل من اجل استنفار المخاطب نفسيا وفكريا أي اننا نمارس ازاء فكره المناقض فعلا اخر ياتي مخالفا في قصده ووعيه هذا الفعل قد يكون سلطة، سلطة خطابية ايجابية وان بدت قسرية في رؤية أدائها الفني، إن مثل هذا الوعي ايجابي على مستوى انسجام بعدي الصورة (المرسل / المتلقي) في رسالة التصريح لا التلميح التي نريدها في مفهوم التنوير النفسي الذي صيره السارد بعدا اساسيا في الايصال الفكري لان " كل كلام كيفما كان الا وهو موجه نحو جواب تفهمي الا ان هذا التوجيه لا ينفرد بفعل مستقل ولا يبرز من التركيب وبذلك يعد الفهم المتبادل قوة اساسية تساهم في تكوين الخطاب وهو فهم حركي يدركه الخطاب بوصفه مقاومة او تعضيدا او إغناء ([1]) من هذا نخلص الى ان الخطاب ينبغي ان يجعلنا نفهم ما يقال ونستوعب ولا يهم في ذلك ان تختلف تقانات التوصيل وطرق ادائها فلكل فعل خطابي هدف غايته الابلاغ ومن ثم الاقناع الذي يتولد بفعل تحفيز العقل لدى المخاطب ودفعه الى بؤرة الحدث عن طريق الشرح او التفسير :

(رد السمارتو بعد ان فتح منقاره الى اقصاه واعطاه بسبابته وإبهامه اشارة انه يبتسم

. هي بركة ابو نبشتم كان علينا ان نعرف ما يدور في رؤوس الركاب كي نحافظ على قوة الايمان في انفسهم)([2]).

كشف التحليل :

1. رسالة الابلاغ : هي بركة آتو نبشتم

2 : رسالة الاقناع : كان علينا ان نعرف ما يدور في رؤوس الركاب

---

[1]) : الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ص75

[2]) : ليلة الملاك، ص55

3 : افعال الكلام : رد السمارتو // فتح منقاره // اعطاه لسبايته وابهامه واشارة

بادية في النص على نحو ابلاغي ساع الى استدعاء المخاطب واشراكه نفسيا وفكريا /تنوير نفسي/ في تحقيق الانسجام ومن ثم التواصل عبر افعال وتوسعات خاصة :

نعرف ما يدور في رؤوس الركاب

هي بركة ابو نبشتم ← نحافظ على قوة الايمان في انفسهم

الاستلزام الخطابي : ان قيمة التوكيد المنمذجة في نظام لغة الخطاب قد اضفت على فعل القصد في ضمير الفعل حضورا اخر اكثر هيبة لفكر الرسالة :

هي بركة اتو نبشتم.

لكن الذي يزيد المفهوم الافصاحي في لغة خطاب الاستنفار / الاقناع / قوة وابانة، هو التوصيف المخصوص من حيث ان دلالة التوسعة ايجابية في سيرورة النص أي تفضيل العام على الخاص وفي هذا التوزيع للمؤلفات بؤرة للاضاءة في فن الخطاب بالإمكان تتبعها لغرض تنمية الصورة وإحلال مؤلفات مغايرة تتطلبها دلالة التغاير في خطاب الاستنفار :

(في الجيش كنت محض جندي ولكنني بعد ان تسرحت لم اعرف من انا حكومة نينوى القديمة تقول ابني من البشر والناس يقولون انني من الطيور الجارحة اما الكهنة فقد رسموني على الجدران كملاك من ملائكة المعابد)([1]).

كشف التحليل :

1. رسالة الابلاغ : في الجيش كنت محض جندي
2. رسالة الاقناع : بعد ان تسرحت لم اعرف من انا
3. افعال الكلام : انني من البشر // اني من الطيور الجارحة // رسموني على الجدران كملاك من ملائكة المعابد.

لكن التوازي في الخطاب متوقف على شرطية واعية تتمثل في ان تواصل الخطاب ببعديه الإبلاغي والإقناعي لاحق لشرط التنوير : رسموني على الجدران كملاك من ملائكة المعابد وهذا يجعل بؤرة الاقناع مستوفزة أي أننا بهذا نستدعي المخاطب الى اجواء التفاعل عن قناعة تترسخ بفعل المباشرة والتنوير.

استلزام الخطاب :

ابرز الاداء في لغة الخطاب المستنفر ان هناك في خزين الذهن من الابداعات الفكرية ما يجعل بعدي الصورة (الاسود والمضيء) يترافقان معا بعد التنوير النفسي الذي يمارسه الفكر المرجعي الاسطوري بوصفه محولا للخطابات ولغايات ادائها يعاضد هذا التوكيد البلاغي لقوانين التحويل في السياق التي تفترض من ضمن ماتفترض ان أي تقديم في اية بؤرة كلامية (أنت) ينبغي ان يرافقها تغاير في المعنى والقصد يسخران لصالح صوابية المركب وقوة ادائه.

(قال يونس بعصبية : انت مفجوع ملذوع بلا دماغ لقد جعلتنا نخسر المعركة)([2]).

الخاتمة :

لان القصد خطاب إنساني ينبغي ان يكون واضح القسمات في لغته وحدود تفكيره مستعينا في زيادة وايضاح الصور الخطابية بالمران والفراسة زائدا الحنكة والخبرة وحسن التصرف في ادارة اعمال النص، لاسيما تلك المتعلقة بأفعال الكلام في الخطاب كالإبلاغ والاقناع او الشرح او التفسير او الفهم والاستيعاب حاولنا الكشف عن مرجعياته في صناعة السرد عند نزار عبدالستار في مجموعته (ليلة الملاك) إذ جاء أداؤه ليؤشر حالة من التطور في خطاب النفس وتفعيلا لمرامي الانزياح اللغوي في شفرته الكلامية بحسب مخيال صور الاشراق في دالات الخطاب اللغوي وقصد معرفي مكننا من الخوض في الاعماق الغائرة لبؤرة النص وتجلياته.

---

[1]) : لبلة الملاك، ص59

[2]) : ليلة الملاك، ص59

مصادر البحث

1. الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، سعد علوش، مجلة الأقلام دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد 22، 1987.
2. الصاحبي في فقه اللغة، احمد بن فارس، تح، مصطفى الشويمي، مؤسسة ابن بدران، بيروت 1964.
3. الكليات، الكفوي، وزلرة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1975.
4. اللسانيات بين اللغة والخطاب وخطاب الادب، عبدالسلام المسدي، مجلة الاقلام، بغداد، العدد 9، 1983.
5. المرجعية الاجتماعية في تكوين الخطاب الادبي، محمد خرماش، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 38 / 1995.
6. اهداف الخطاب وانماط السياق، فلسفة البلاغة، ريتشارد، ترجمة ناصر حلاوي، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت، العدد 13 . 14 / 1991.
7. علم اللغة العام، دوسوسير، ترجمة د. نؤيل يوسف عزيز، بغداد 1985.
8. علم النفس اللغوي د. نوال محمد عطية، مكتبة لانجلو المصرية، 1975.
9. فقه اللغة، طه عبدالحميد، جامعة بغداد، 1990.
10. لسان العرب لابن منظور، بيروت، 1955.
11. مفهوم الكلام المفيد بين النحاة العرب وعلماء اللغة المحدثين، د. طالب عبدالرحمن، مجلة آداب الرافدين، العراق، الموصل، العدد 24 / 1992.
12. نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين الرازي، تح، د. ابراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، د. ت.